٢١ فضل طلب العلم

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: العلم عبادة عظيمة وشعيرة جليلة ، قال بعض السلف: العلم صلاة السر وعبادة القلب. [١]

(١) شرح حلية طالب العلم ص (٢١).

وقال بعضهم: من أحب العلم أحاطت به فضائله. (١)

وقال ربيعة بن فروخ: العلم وسيلة إلى كل فضيلة. (٢)

والعلم سلم النجاة وأصل الفلاح والسعادة إذ هو الداعي إلى كل خير الصارف عن كل شر قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنفال٢٩].أي علمًا تفرقون به بين الحق والباطل وتميزون به بين الحقائق كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾[سبأ : ٦] .

والعلم من أعظم أسباب سعادة العبد في الدارين،قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله ﴿ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ ﴾[الروم : ٥٦].

وقوله تعالى :﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾[المجادلة : ١١]. وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه والمؤهلون للمراتب العالية. (٣)

ولله در القائل :

وما يغنيك تشييد المبـــاني إذا بالجهل نفسك قد هدمتا

جعلت المال فوق العلم جهلا لعمرك في القضية ما عدلتـا

---

(١) أدب الدنيا والدين ص (٣١٧) للماوردي.
(٢) السير (٦/ ٩٠) وسنده صحيح.
(٣) فوائد الفوائد ص (٢٣٥) ترتيب الشيخ الحلبي.

وبينهما بنص الوحي بـــون ستعلمه إذا طـه قرأتـــا

وقال آخر:

العلم أعلى من الأمـوال منزلة لأنــه حـافـظ والمـــال محفوظ

أيها المسلمون: ليس كالعلم شيء في علو قدره وسمو شرفه ورفعة مكانته فهو ملك وسيادة ورفعة وعزة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾[البقرة: ٢٤٧].

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تفقهوا قبل أن تسودوا. قال: البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ وبعد أن تسودوا. (١)

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه، لم ينفعه علمه(٢)

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم وإن كنتم وسطًا سدتم وإن كنتم سوقة عشتم. (٣)

ومهما كان فإن الإنسان لا يقوى ولا يرقى إلا بالعلم، كما قيل:

العلم يرفع بيتًا لا عـماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

(١) البخاري (١/ ٢٢٣).
(٢) السير (١٠/ ٢٤).
(٣) أدب الدنيا والدين ص(٢٧) للماوردي.

معاشر المسلمين: لقد مدح الله نفسه بعلمه فقال تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٩].

وامتن تبارك وتعالى على نبيه بالعلم ، فقال تعالى :﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء : ١١٣].

وامتدح عباده بما وهب لهم من العلم ، فقال تعالى :﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ﴾[الأنعام : ٩١].

وقال تعالى :﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[الرحمن : ١ ـ ٤].

وقال تعالى :﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[العلق : ١ ـ ٥].

ومدح الله تبارك وتعالى يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالعلم فقال تعالى :﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[يوسف : ٦٨].

وفضل الله آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الملائكة بالعلم قال تعالى :﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[البقرة٣١] .

ومدح الخضر بالعلم قال تعالى :﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[الكهف:٦٥].

ومدح داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالعلم فقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾[ص٢٠] ، وقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ

لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾[النمل : ١٥].

ومعلوم أن الله قد آتاهما مالًا وملكًا ولكنه خص العلم بالذكر لمكانته وشرفه وفضلهما بالعلم.

ومدح موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالعلم قال تعالى :﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[القصص : ١٤].

ومدح يوسف بالعلم قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[يوسف : ٢٢].

وامتن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالعلم فقال تعالى :﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[المائدة : ١١٠].

وأحل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صيد الكلاب المُعَلَّمة وحرم صيد الكلاب التي ليست مُعَلَّمة قال تعالى :﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾[المائدة : ٤].

وبالعلم صال الهدهد وقويت حجته عند سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل:٢٠ ـ ٢٢].

واستشهد الله عَزَّوَجَلَّ بأهل العلم على أجل مشهود به وهو التوحيد وقرن

شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته قال الله : عَزَّوَجَلَّ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران : ١٨].

وصدق من قال:

فما الفخر إلا لأهل العلم إنهمُ ... على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وفضل كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
ففز بعلم تعش حيًا به أبـــدًا ... الناس موتى وأهل العلم أحياءُ

وقال آخر :

رضينا قسمة الجبار فينا ... لنا علم وللجهال مال
فعز المال يفنى عن قريب ... وعز العلم باق لا يزال

وقد وصف الله عَزَّوَجَلَّ خليله ونبيه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بصفات عظيمة وما ذاك إلا لكمال العلم قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[النحل: ١٢٠ـ١٢٢].

وقد سمى الله الخروج في طلب العلم نفيرًا كالخروج في طلب العدو، وهذا يدل على أن العلم جهاد في سبيل الله كما قال تعالى :﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[التوبة: ١٢٢].

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : من رأى الغدو والرواح في طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص عقله ورأيه. (١)

وقال بعض السلف: من طلب العلم فقد بايع الله عَزَّوَجَلَّ. (٢)

عباد الله: العلم من أفضل الأعمال الصالحة وآكد الواجبات فقد ثبت عن عدة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قال رسول الله ﷺ :[طلب العلم فريضة على كل مسلم]. (٣)

قال الإمام الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: ما عبد الله بمثل العلم. (٤)

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ ، قال : : الفهم في كتاب الله والعلم ﴿ وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ الجنة. (٥)

وقال أبوالأسود الدؤلي رَحِمَهُ اللَّهُ : ليس شيء أعز من العلم وذلك أن الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك. (٦)

وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ فإن العلماء هم أهل الفقه والخير وتجب طاعتهم ولذلك قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٣) تحقيق الحلبي.
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٣) تحقيق الحلبي.
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (٢٢٤) فقد جاء عن أنس وجابر وعلي بن أبي طالب وابن عباس والحسين بن علي وأبي سعيد وعبد الله بن مسعود وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .
(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٢٥) تحقيق أبي الأشبال الزهيري.
(٥) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٢٩).
(٦) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٥٧).

قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ ﴾ أولو الفقه والخير. (١)

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله تعالى ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ أهل العلم (٢)

ولقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يسأله المزيد من العلم فقال : له ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[طه : ١١٤]. والله لا يأمر نبيه ﷺ بطلب المزيد إلا من الأفضل والأكمل.

وأمره بتعلم العلم قبل القول والعمل كما قال تعالى :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[محمد : ١٩].

وقد سلاه بإيمان أهل العلم قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[الإسراء:١٠٧].

والمعنى سواء آمنتم يا معشر قريش بهذا القرآن أم لم تؤمنوا فقد آمن به أهل العلم.

وقال تعالى :﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾[الرعد : ٤٣].

وقد حصر الله خشيته التامة في أهل العلم فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر : ٢٨].

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا ممن يخشاه حق خشيته وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

(١) ابن أبي شيبة (٧/ ٥٦٧).
(٢) تفسير ابن جرير (٧/ ١٨٠).

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم نحمده سبحانه ونشكره على فضله الأعم وأن هدانا للدين الأعظم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الأعز الأكرم وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله دعا إلى الدين الحق والمنهج الأقوم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد:

فبالعلم تعتز الأمم وتسود وتشيد الحضارات وتقوم فما انتشر العلم في مجتمع إلا سعد واهتدى وما حرم مجتمع منه إلا ضل وشقي وإن من أعظم فضائل العلم أن العالم إذا مات لا تنقطع أجور علمه وتعليمه بعد مماته ففي صحيح مسلم [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله ﷺ قال: [**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له**].

يموت خزنة الأموال وهم أحياء ويعيش خزان العلم وهم أموات أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

أيها المسلمون: تعلموا العلم ؛ فإن تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ؛ لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو

(١) مسلم برقم (١٦٣١).

الأنس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة وأئمة يقتص آثارهم ، ويُقتدى بأفعالهم ويُنتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم يستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه ؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة ، والتفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء [١] .

وصدق الله القائل في كتابه الكريم ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة :٢٦٩] .

فلولا العلم ما سعدت نفوس ... ولا عرف الحلال ولا الحرام
فبالعلم النجاة من المخازي ... وبالجهل المذلة والرغام
هوالهادي الدليل إلى المعالي ... ومصباح يضيء به الظلام

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه [٢] عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال :[أيكم يحب أن يغدوكل يوم إلى بطحان أوإلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم ؟] فقلنا يا رسول الله نحب ذلك قال: [أفلا يغدوأحدكم إلى المسجد فيعلم أويقرأ آيتين من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ خير له من ناقتين وثلاث

(١) نسبته إلى النبي ﷺ لا تصح.
(٢) مسلم برقم (٨٠٣).

خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل].

ورحم الله الحافظ الحكمي القائل:

العلم أحلى وأغلى ما له استمعت ... أذن وأعــرب عنه ناطق بفم
العلم أشرف مطلـوب وطالبـــه ... لله أكــرم مـن يمشي عـلى قدم
فقدس العلم واعرف قدر حرمتـه ... في القول والفعل والآداب فالتزم
يا طالب العلم لا تبغ به بدلًا ... فقد ظفرت ورب اللوح والقلم
واجهد بعزم قوي لا انثناء لــه ... لويعلم المرء قدر العلم لم ينم
والنية اجعل لوجه الله خالصة ... إن البناء بـدون الأصـل لم يقم

وقال سابق البربري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلم فيه حيــاة القلوب كما ... تحيا البلاد إذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه ... كما يجلي سـواد الظلمة القمر

ومن الكلمات الجميلة التي تروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال : قيمة كل امرئ ما يحسن. هذه الكلمة غاية في البلاغة فقد أخذها الخليل فنظمها شعرًا فقال :

لا يكون العلي مثل الــدني ... لا ولا ذوالـذكـاء مثل الغبي
قيمة المـرء قـدر ما يحسن المر ... ء قضــاء من الإمــام علي [1]

(١) أدب الدنيا والدين ص (٢٨).

وأخذها غيره فنظمها شعرًا فقال :

حسود مريض القلب يُخفى أنينه ... ويُضحى كئيب البال عندي حزينه
يلوم عليَّ أن رحت للعلم طالبًا ... أجمع من عند الرواة فنونه
فأعرف أبكار الكلام وعونه ... وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعم أن العلم لا يكسب الغنى ... ويُحسن بالجهل الذميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمة كل الناس ما يحسنونه

والعلم الممدوح في القرآن هو علم الدين علم الكتاب والسُّنَّة والأحكام الشرعية.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال : حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلم قال الله : قال : رسوله ... قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فلان

أيها المسلمون: كيف حرصنا على العلم وكم حبنا له لقد كان شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا نسي الحديث بكى وكان إذا فاته الحديث يقول واحزناه وتأمل معي أخي المسلم في حرص الصحابة على العلم ، ففي صحيح البخاري[1] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال : قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم

(١) البخاري برقم (٩٩).

القيامة قال رسول الله ﷺ : [**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أونفسه**].

وفي صحيح البخاري[١] أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قلت يا رسول الله : إني أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه قال: [**ابسط رداءك**] فبسطته قال: فغرف بيديه ثم قال : ضمه فضممته فما نسيت شيئًا بعده.

وفي صحيح البخاري[٢] أيضًا عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يومًا وأنزل يومًا فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته فضرب بابي ضربًا شديدًا فقال :أثم هو ففزعت فخرجت إليه فقال: قد حدث أمر عظيم قال : فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي فقلت : طلقكن رسول الله ﷺ قالت: لا أدري ثم دخلت على النبي ﷺ فقلت وأنا قائم : أطلقت نساءك ، قال : لا ، فقلت الله أكبر.

وفي سُنَن الدارمي[٣] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقالوا:عجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب فيخرج فيراني فيقول:يا ابن عم رسول

(١) البخاري برقم (١١٩).
(٢) البخاري برقم (٨٩).
(٣) الدارمي (١/ ١٤١).

الله ما جاء بك الا أرسلت إلي فآتيك فأقول أنا أحق أن آتيك فاسأله عن الحديث قال : فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس علي فقال : كان هذا الفتى أعقل مني.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما سعادة العلم فلا يورثك إياها إلا بذل الوسع وصدق الطلب وصحة النية. (١)

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :لابد للسالك من همة تسيره وترقيه ، وعلم يبصره ويهديه(٢) .

أيها الإخوة: من خدم العلم خدمه الناس ، من خدم المحابر دانت له المنابر ، ومن صان العلم صانه العلم ، ومن هان العلم هان على الناس.

هذا والله نسأله المزيد من فضله ، والعون على طاعته إنه أرحم الراحمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

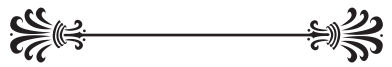

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٦٣).
(٢) الدرر الكامنة (٤/ ٢١).